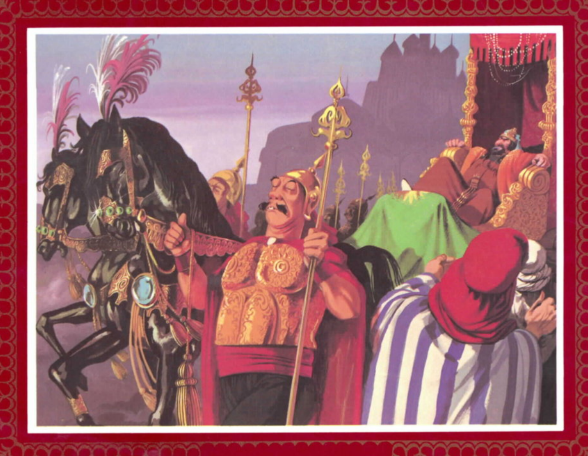
قصص القرآن

قارون

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ-١٩٩٣م

الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

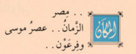
القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن



قلم : أحمد بهجت   ريشة : مصطفى حسين

دار الشروق



.. مِصر
الزَّمانُ .. عصرُ موسى وفِرعَوْن ..

ليسَ هـذا قَصرُ فِرعون، ولا بيتُ موسى .. إنَّما هو قَصرُ رجلٍ آخرَ من قومِ مُوسى، رجلٌ يَلبسُ في كلِّ نعلٍ من نِعالهِ ثلاثَ ياقوتاتٍ حَمراءَ، تَكفي كلُّ ياقوتةٍ منها لِشراءِ قَصرٍ عَظيمٍ ..

رجلٌ يَتَّكِىءُ على كُـرسيٍّ صُنِعتْ مَسانِدُهُ على شَكلِ أَسَدينِ من الـذَّهبِ الخَـالص .. أمـا كُؤوسُ الشَّـرابِ فمنَ الـزُّجاجِ الثَّمينِ المُـطعَّمِ بالْمـاسِ واللُّؤلؤِ. أما يـداهُ فَكانتْ عَلَيهِما أساورَ من ذهبٍ تَنامُ فيهـا فُصوصُ الـزُّمُردِ. كـانت أَعمدةُ القَصـرِ مِنَ الـرُّخـامِ الـمُحلَّى بالذَّهَبِ .. أمـا نوَافـذَ قَصرِه فَكـانت من خَشَبِ الصَّندلِ المُعطَّرِ الـذي دُقَّتْ فيه مَساميرٌ من الذَّهبِ، وكـان الهواءُ إذا مرَّ من خِلالِ النَّافِذَةِ حَملَ عَـطيتَهُ من عِـطرِ الصَّندلِ وأهْـداهـا لأهلِ القَصرِ عبقاً مُنعِشاً ..

هـذا قَصرُ قـارون أغنى رجُلٍ من قـومِ مُـوسَى، وأغنَى رجُـلٍ على الأرضِ يَومئذٍ .. وقد بلغَ ثَراؤُهُ حـدّاً جَعلهُ لا يَعـرفُ مِقـدارَ كُنـوزِهِ أو ثَروتِهِ، كلُّ ما كانَ يَعرفُـه أنَّ مَفاتيحَ الغُرفِ التي تُوضعُ فيها الكنوزُ كانت تَمـلأُ صُنـدوقَينِ كبيـرينِ لا يَستـطيعُ حَملَها سِوى ثَمانِيةُ من أقوى الرِّجالِ وأشدِّهم ..

ورغمَ ثَـراءِ قـارون وإحسـانِ الله إليه، كان الـرجلُ قـاسِيَ القلب راكدَ المشـاعِرِ، يجهـلُ الرِّقَّـةَ التي تُحـركُ القلبَ لِلعـطاءِ، كمـا يَجهـلُ فَضيلةَ الإحسانِ للفُقراءِ ..

وكـانَ من عـادةِ قـارونَ إذا جـاءَ الليـلُ أن يَفتح بـابَ أصغرِ غُـرفةٍ من الغرفِ التي يَحتفظُ فيها بِكنوزه، وكانتْ هذه الغرفةُ قاعةً عَظيمـةً صُنِعتْ مِن الحِجـارةِ وآمتَـلأت أرضُهـا بِقِـطَعِ الـذَّهبِ والجِـرارِ الـتي تَـمتـلىءُ بـالمَاس.. والصَّنـاديق التي تَمتلىءُ بالجواهِرِ والزُّمردِ والياقوتِ..

وكـانَ قارونُ يـرفعُ الكـأْسَ عالِياً ويَضْحكُ إذا شـاهـدَ كُنوزَهُ، وكـانَ يَـدخلُ الغُـرفـةَ أحيـانـاً ويَسيـرُ فـوقَ الـذَّهبِ ويَستمعُ إلى صـوتِ المَعدنِ الثَّمينِ وَأقدامُه تَمشي فَوقَهُ..

إنَّ إحْساساً بالكِبريـاءِ يُولَـدُ داخلَ نَفسِهِ وهو يطأُ الذَّهبَ بأقدامِهِ..

إنَّ فَرحاً وَحْشِياً يَملؤُهُ حينَ يَتذكَّرُ أنّ هذا المالَ مَمْلوكٌ له وحدَهُ..

إنـه يَحِسُّ بالقـوَّةِ والغِنى والنُّفـوذِ والأَمنِ والفرحِ..

لَمْ يكنْ قـارونُ يُفكِّرُ أنّـه سَيَموتُ يَوماً ما.. آبتعدَ هذا اليومُ عن عقلهِ، لَمْ يكنْ خاطرُ الموتِ يَعبُرُ ذِهنَه، ولا كانتْ قَضيةُ الرَّحيلِ تُشْغِلُهُ، لَمْ يكنْ يُؤمنُ بيـومِ القِيـامـةِ أو البَعـثِ أو الحِساب أو العِقاب. كـانتْ حُجُراتُ كُنوزِهِ مُضيئةً ولكنَّ عقلَهُ كـان مُظلماً تُعشِّشُ فيه عَناكبُ الجُحودِ وَالقَسْوَةِ.

وكانت سيرةُ قارون آمتِداداً لِقَسْوةِ قَلبِـهِ وَظَـلامِ عَقْـلِهِ. كـان جَبّـاراً ظالِماً.. عاتِياً.. بَخيـلاً.. لا يكفُّ عنِ الضَّحكِ ولا يُفكِّرُ إلّا في اللّحظةِ التي يَعيشُ فيها.. إنّ هَدفَـهُ الأعلى من الحَياةِ هو آعتِصارُ كلِّ لحظةٍ من لَحظاتِ الحياةِ حتى نِهايَتِها.. كـان

آبناً مُخلصاً لِهَوى اللَّحظةِ . .

كان يُؤمِنُ بِفَلسفةٍ تقولُ إنَّ الحياةَ عُنقودٌ من العِنبِ، وعلى المَرءِ أن يَعتصِرَها في فمهِ.

إنه يَأكلُ أندرَ الطَّعامِ وأغْلاهُ، ويَرتدي أفخرَ الثِّيابِ وأجْمَلَها، ويَستغلُّ الناسَ في خِدمتِهِ حتى تَنفجِرَ عُروقُهم من الإرْهاقِ، ولا يُؤدِّي حَقَّهُم عليهِ في الأجرِ أو في المعامَلةِ . . وكانَ لا يَعنيهِ أنْ تَفسدَ حياةُ الناسِ ما دامَ هذا يَزيدُ من ثَروتِهِ، وكلَّما زادتْ ثَروتُه زادَ بُخلهُ . . وكلما أعطاهُ الله من نِعَمِهِ زادتْ شُرورُه وقسوتُهُ . .

وحين صارَ ظُلمُ قارونَ أوضحَ مِن الشَّمسِ . . أرسَل إليه مُوسى من ينصحُهُ من قومِهِ.

قالوا له: إنَّ الحُزنَ يُؤدِّي عادةً إلى رِقَّةِ القَلبِ وحَساسِيةِ المشاعِرِ . . وليسَ في الفَرحِ غيرَ قسوةِ الاغترارِ . .

نحن ننصحُكَ ألَّا تَغترَّ بمالكَ . . أو تفرحَ بثرائِكَ وكُنوزِكَ . . نحن ننصحُكَ أن تُحسِنَ إلى الفُقراءِ كما أحسنَ الله إليكَ . .

نحن لا نَدعوكَ لنسيانِ الدُّنيا، وإنما نُذكِّرُكَ فَحسبُ أنَّ الدُّنيا لا تَستمرُّ إلى الأبدِ . . وأنكَ سَتعودُ يوماً إلى الله فَيُحاسِبكَ.

صرخَ قارونُ يسألُ: ماذا تُريدونَ قولَهُ لي؟

قال ناصِحُهُ: نُريدُ أنْ نَقولَ لكَ أن تَبْتغِي فيما آتاكَ الله الدارَ الآخرةَ . . ونريد أنْ نقولَ لك أن تكفَّ عن الفَسادِ في الأرضِ . . إنَّ

اللهَ هو الذي مَنَحكَ الثَّراءَ، فلا تُفْسِدِ الأرضَ بِمالِكَ . .

آستمَعَ قارونُ إلى حَديثِ النّاصحينَ من قومِهِ . . فلما آنْتهوا من حَديثِهِم وقفَ ثائِراً وصرخَ فيهم وهو يُشيرُ إلى الباب: آخرُجوا جَميعاً قبلَ أن آمرَ بِطَرْدِكُم . . من أنْتُم حتى تَتحدَّثونَ إلى قارون؟ إنكم تقولونَ لي إنَّ اللهَ هو الذي مَنَحني ما أمتلِكُه، وتَنسونَ ذكائي وقُدرَتي وعِلْمي . . لقد صَنعتُ مالي بِذَكائي، وجَمَعتُ كُنوزي بِقُدرتي، وبَلَغتُ ما بَلَغتهُ من الثَّراءِ بعِلْمي . . بعقْلي . . بتدْبيري . . إنَّ عِلْمي هو الذي أعطاني المالَ . . لا الله . .

لا تَقولوا لي إنّ اللهَ يَرزُقُكَ؟

لقد آستَمعتُ إلى آجترائِكُم ولن أستمِعَ إليه بعدَ الآن . . آنصرِفوا على الفورِ أيُّها الحَمْقَى . .

خرجَ قَومُهُ وهم يَحِسُّونَ بالأسفِ والحُزنِ .

أدركوا أنّ قارونَ قد خَلطَ بين أسبابِ الرِّزقِ وَجوهرِ ثِمارِهِ . . إن الأسبابَ تُؤدي إلى حَديقةِ الرِّزقِ، لكنَّ ثِمارَ الحديقةِ ليستْ سِوى مِنحة منَ الله . .

لم يَعُدْ قارون يُدرِكُ هذه الحَقيقةَ، ذهبَ عَقلُهُ من خَمرِ الغُرورِ فلم يَعُدْ ينصُت لِصوتِ العَقلِ ولا عادَ قابلًا للنَّصيحةِ .

كانَ يَحِسُّ أنَّ أحداً قد أهانَهُ . . كيفَ يَجْرؤ هؤلاءِ الحَمقَى على نَصيحتِهِ؟ كيف يتطاولونَ على شَخصِهِ رغمَ ثَرائِهِ؟



خَرجَ قارون ذات يومٍ على قَومِهِ في زينتِهِ.

كــان مُجــردُ خُــروجِــهِ فِتنــةً للنّاسِ..

كان يَجلسُ وَسطَ مَركبةٍ أعمدتُها من الذَّهبِ وسَتائرُها من الحريرِ المنسوجِ بالفِضّةِ والذَّهبِ..

أما الخيلُ التي تَجرُّ مَركبتَهُ فكانت سُروجُها وأدواتُها مرصّعةً بالياقوتِ والزَّبرجدِ والماسِ والمرجانِ.. أما الحرسُ فيلبسونَ دُروعاً من الذهبِ ويمسكونَ عصياً من الذّهبِ..

وكـانـتِ الشمسُ تَسطعُ على الذهبِ والجَواهرِ فَيشعُّ البريقُ ويتألَّقُ ويكادُ يَخطفُ الأبصارَ..

وكان موكبُ قارون يوقفُ الناسَ على الجانبينِ لمشاهَدتِهِ.. وتَجمَّعَ الطامِعون في الدُّنيا وقالوا لِبعضِهِم البَعض: يـا ليت لنـا مِثـلَ مـا أُوتيَ قارون، إنه لَذو حظٍّ عَظيمٍ.

قـال الحُكمـاءُ والعـارفـونَ بـالله والـذينَ أُوتـوا العِلمَ: وَيلكم.. أنتم تَحكمونَ على قارون بالمظاهرِ، ليس قـارون عَـظيمَ الحظِّ.. إنمـا هـوَ مَخلوقٌ تعيسٌ يَمتحنُه الله بالكُنوزِ.. وقـد رَسَبَ في امتحانِـهِ.. لم يخرجْ يوماً زكاةَ مالِهِ، ولا تصدَّقَ يوماً على الفُقراءِ منها.

قال الطامِعونَ في الدُّنيا: انظروا إلى ذَهبِهِ وَجواهِرِه.

قال الحكماءُ: ثوابُ الله خيرٌ لمن آمنَ وَعمِلَ صالِحاً.. إن قارون كفرَ بالله.. انتظروا ما سَيحدثُ لقارون.

حينَ صـارَ قـارون فِتنـةً لِنفسـهِ

وَلِقومِهِ..

حِينَ آعتقدَ قارون أنّ حظَّهُ يَحميهِ من تَقلُّباتِ الدَّهرِ ومُفاجآتِ الأيامِ.. حينَ آعتقَـدَ قَـومُـه أنّ الثَّراءَ يَعني الأمـانَ.. شاءَتْ إرادةُ الله تَعـالى أن تُصَحِّحَ كلَّ هذه التَّصوُّراتِ المخْتلَّةِ.

لقـد قال قـارون إنّ الله لا يـرزُقُـه وإنه يَصنعُ المالَ بِعلمِهِ..

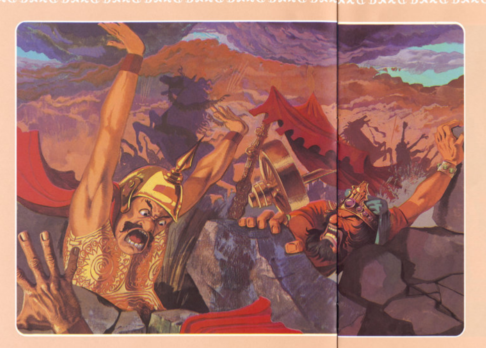
وأمَـرَ الله تَـعـالـى الأرضَ أن تَخسِفَ بقارون.

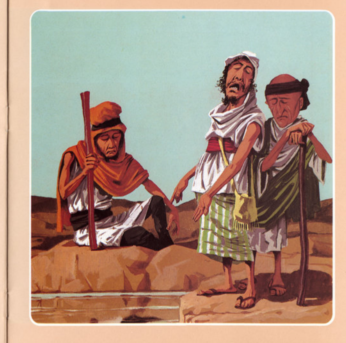
تلقَّتِ الأرضُ أمرَ الحقِّ خاضِعةً طائعةً وَراحتْ تَنهارُ وَتتزلـزلُ وَتَتشَقَّقُ وتَتَّسِعُ الشُّقوقُ فيها..

وآنكفأَ قارون على وجهِهِ وغارَ في الأرضِ.. صَـرخَ يَستدعي الحرسَ والجُندَ والأتباعَ، ولكنَّهم جميعاً كانوا مَشغولينَ عنه بالمأساةِ التي تقعُ لهم في هـذه اللّحظةِ. كـانـوا جميعـاً يَغورونَ في الأرضِ.. وَراحَ قارونُ وجنودُهُ يَغوصونَ في الأرضِ وسطَ زِلزالٍ هائلٍ..

آستمرَّ الزِّلـزالُ المـدمِّـرُ ثَـواني سَـريعةً.. ولكن كـل ثانيـةٍ من هـذه الثواني بَدتْ لِقارون وأتباعِه مثل ألفِ عامٍ من العذابِ الرهيبِ.

كلُّ شيءٍ كان يَتحرَّكُ ويَغوصُ في الأرضِ.. بعدَ دَقائقَ قَليلةٍ كان كـلُّ شيءٍ قد آختفَى في بطنِ الأرضِ.. ضاعَ كلُّ شيءٍ.. غَـرِقَ في الأرضِ كـلُّ شيءٍ.. كنـوزُ قـارون وقُصـورُه وجُنـودُه وخَيلُه وذَهَبهُ وجَـواهِـرُه.. ضـاعَ كـلُّ شـيءٍ أثنـاءَ خَـسـفِ الأرضِ، حتى خَـرجتِ الميـاهُ من جَوفِ الأرضِ وَصنعتْ بُحيرةً واسعةً





الأرضِ..

كانَ صَداها يَتردَّدُ في الحياةِ، وَيُفْسِدُ النُّفوسَ والقُلوبَ. وبسببِ هذهِ الكلمةِ الظَّالمةِ عاقبَ اللهُ تعالَى قارونَ في الدُّنيا بالخَسفِ.

وَمضَى قارونُ دَرساً في التّاريخِ لِكلٍّ من يَتصوَّرُ أنَّ عِلمَهُ هو المَسؤولُ عَن ثَرائِهِ..

مطابع الشروق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ
إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى
ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ
عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ
قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ
إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ۝ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ
ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ
ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ